

أضواء البيان

@ 95 @ وَأَخْرَجُوكُمْ مِّن دِيَارِكُمْ وَطَاهَرُوا عِلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمُ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْءَلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ } ، وقال الشافعي رحمه الله : وكانت الصلة بالمال والبر والإقسط ولين الكلام والمراسلة بحكم الله غير ما نهوا عنه من الولاية لمن نهوا عن ولايته مع المظاهرة على المسلمين ، وذلك لأنه أباح بر من لم يظاهر عليهم من المشركين والإقسط إليهم ولم يحرم ذلك إلى من لم يظاهر عليهم بل ذكر الذين طاهروا عليهم فناههم عن ولايتهم إذ كان الولاية غير البر والإقسط ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم فادى بعض أسارى بدر ، وقد كان أبو عزة الجمحي ممسكاً من النبي عليه ، وقد كان معروفاً بعداوتة والتأليب عليه بنفسه ولسانه ، ومن بعد بدر على ثمامة بن أثال ، وكان معروفاً بعداوتة ، وأمر بقتله ثم من النبي عليه بعد أسره وأسلم ثمامة وحبس الميرة عن أهل مكة فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأذن له أن يميّزهم فأذن له فمأزهم . . وقال الله عز وجل : { وَيُطْعِمُونَ الظَّالِمِينَ عِلَى حُبِّهِمْ مِسْكِينًا وَيَتَّخِذُوا أَتَّخِذُوا } والأسرى يكونون ممن حاد الله ورسوله الله منه . .

وهذا الذي صوّبه ابن جرير وصححه الشافعي رحمه الله الذي تقتضيه روح التشريع الإسلامي ، أما وجهة النظر التي وعدنا بتقديمها فهي أن المسلمين اليوم مشتركة مصالحهم بعضهم ببعض ومرتبطة بمجموع دول العالم من مشركين وأهل كتاب ، ولا يمكن لأمة اليوم أن تعيش منعزلة عن المجموعة الدولية لتداخل المصالح وتشابكها ، ولا سيما في المجال الاقتصادي عصب الحياة اليوم من إنتاج أو تصنيع أو تسويق ، فعلى هذا تكون الآلية مساعدة على جواز التعامل مع أولئك المسالمين ومبادلتهم مصلحة بمصلحة على أساس ما قاله ابن جرير وبنيته الشافعي ، وذكره الشيخ رحمه الله عليه في حقيقة موقف المسلمين اليوم من الحضارة الغربية في عدة مناسبات من محاضراته ومن الأضواء نفسه ، وبشرط ما قاله الشيخ رحمه الله تعالى عليه من سلامة الداخل أي عدم الميل بالقلب ، ولو قيل بشرط آخر وهو مع عدم وجود تلك المصلحة عند المسلمين أنفسهم ، أي أن العالم الإسلامي يتعاون أولاً مع بعضه ، فإذا أعوزه أو بعض دوله حاجة عند غير المسلمين ممن لم يقاتلوهم ولم يظاهروا عدواً على قتالهم فلا مانع من التعاون مع تلك الدولة في ذلك ، ومما يؤيد كل ما تقدم عملياً معاملة النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه من بعده لليهود في خيبر . .

فمما لا شك فيه أنهم داخلون أولاً في قوله تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا

